Stichting Anour Madrasati
voor Cultuur, Opvoeding en Educatie
KvK : 58591761
IBAN : NL73ABNA0413704440

مؤسسة النور مدرستي
للثقافة والتربية والتعليم
www.anourmadrasati.nl
info@anourmadrasati.nl

الجمعة 13 شعبان 1442 موافق 26 مارس 2021

من إعداد الإمام : **نجيم أوحادوش**

تحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة

يقول الله تعالى في سورة الأعلى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: 16-19).

قرأ عبد الله بن مسعود هذه الآية فقال لأصحابه: أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قالوا: لا، قال: لأن الدنيا أحضرت وعجلت لنا بطعامها، وشرابها، ونسائها، ولذاتها، وبهجتها، وإن الآخرة غُيبتْ وزُويت عنا، فأحببنا العاجل، وتركنا الآجل (صفوة التفاسير للصابوني).

إخوة الاسلام:

إن المتأمل في أحوال العباد يرى أن مغريات الدنيا وشهواتها قد تمكنت من قلوب كثير من الناس واستحوذت عليهم، فلا هَم عندهم إلا الدنيا، عليها يتنافسون ومن أجلها يتقاطعون ويتدابرون، ولها يوالون وعليها يعادون، يقول شاعرهم:

إنما الدنيا طعام وشراب ومنام فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

والله المستعان

وسُميت الدنيا بهذا الإسم لسببين:

السبب الأول: أنها أدنى من الآخرة لأنها قبلها.

السبب الثاني: أنها دنيئة ليست بشيء بالنسبة للآخرة.

(شرح رياض الصالحين للشيخ العثيمين: 3-335)

هذا، وقد عرضت نصوص الوحي من القرآن والسنة حقيقة الدنيا وبينتها بيانا شافيا كافيا، وذلك في آيات وأحاديث كثيرة، منها:

قوله سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد: 20-21)

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله: والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا، والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبد خيرا أقام في قلبه شاهدا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويُؤْثِر منهما ما هو أولى بالإيثار (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ص 12)

وعن عبدالله بن مسعود قال: نامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ علَى حصيرٍ فقامَ وقد أثَّرَ في جنبِهِ، فقلنا يا رسولَ اللَّهِ لوِ اتَّخَذنا لَكَ وطاءً، فقالَ: «**ما لي وما للدُّنيا، ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكبٍ استَظلَّ تحتَ شجرةٍ ثمَّ راحَ وتركَها**» (أخرجه الترمذي)

وعن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السَّاعديِّ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّه جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**» (رواه الترمذي، وَقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ)

فلما كانت الدنيا لا تُساوي عند الله أي شيء، رزق سبحانه العباد كلَّهم وأطعمهم وسقاهم، وأخّر حسابهم إلى يوم القيامة، حتى الكافر -مع كفره- ربنا يرزقه ويطعمه ويسقيه، لأن رحمة الله في الدنيا وسعت كل شيء، ولقد أنكر الله على الإنسان اعتقاده أن الله إذا أعطاه في دنياه ووسّع الله عليه في الرزق أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (الفجر: 15)

وقال سبحانه:

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (المؤمنون: 55-56)

وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، قال جل وعلا: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (الفجر: 16)
كلا، أي: ليس الأمر كما زعم الانسان، لا في هذا ولا في ذاك، فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، ابتلاء وامتحانا.
وعن ابن مسعود يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ ضَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يُنفِقَه، وَخَافَ الْعَدوَّ أَنْ يُجاهِدَه، وَهَابَ اللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَه، فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ» (الألباني)
وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تبين لنا حقيقة هذه الحياة التي يتهافت عليها المتهافتون.
وقد أدرك أصحاب النبي ﷺ هذه الحقيقة، فكانوا يعملون ويزاولون الكثير من الحِرف والمهن، كالتجارة والزراعة والنجارة وغيرها، ومنها الوظائف التي تتعلق بالدولة، نعم كانوا يشتغلون، لكن الدنيا كانت في أيديهم لا في قلوبهم.
قال الحسن البصري رحمه الله وهو يصف حالهم رضي الله عنهم: لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا لَا يَفْرَحُونَ بِمَا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا يَأسونَ عَلَى مَا أَدْبَرَ مِنْهَا (أبو نعيم في "حلية الأولياء" 6-270)
فصار حالهم كما قال الشاعر:

إن لله عباداً فُطَنا — طَلَّقوا الدنيا وخافوا الْفِتنا
نظروا فيها فلما علِموا — أنها ليست لِحي وطنا
جعلوها لُجَّة واتخذوا — صالح الأعمال فيها سُفُنا

وهكذا العبد المؤمن هو الآخر يُغَلِّب آخرته على دنياه، نعم يأخذ بأسباب العيش، ويبذل الوسع في تحصيل الرزق الحلال، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويعمر الأرض بما يرضي الله جل وعلا، لكنه يستمتع بدنياه استمتاعا لا يضر بدينه ولا بآخرته، ويعمل وفق منهج الله الذي رسمه له في مثل قوله تعالى:
﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 77)
وشعار المؤمن دوما قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: 77)
ويدعو ربه قائلا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201)، فالحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي، من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، وأما حسنة الآخرة فهي السلامة من العقوبات في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فقولك: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ هو أجمع الدعاء وأكمله، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء به والحث عليه.

أيها الناس:
إن الدنيا جعلها الله مزرعة للآخرة، يتزود منها المرء لحياته الحقيقية، حياة الآخرة، قال تعالى:
﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 197)

تزود من الدنيا فإنك لا تدري — إذا جَنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من عروس زينوها لزوجها — وقد أُخِذت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صغار يُرتجى طول عمرهم — وقد أُدخِلت أرواحهم ظُلمة القبر
وكم من سليم مات من غير عِلَّة — وكم من سقيم عاش حينا من الدهر
وكم من فتى يمشي ويصبح لاهيا — وقد نُسِجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من ساكن عند الصباح بقصره — وعند المسا كان من ساكن القبر
فكُن مخلصا واعمل الخير دائما — لعلك تحظى بالمثوبة والأجر
وداوم على تقوى الإله فإنها — أمان من الأهوال في موقف الحشر

أيها الناس:

إنه لا بد من التوازن بين الدنيا والاخرة، فاعمل ياعبد الله لدنياك عملا لايضر بآخرتك، وكن على وقاية وحذر من الغفلة والشهوة والهوى، قال جل وعلا:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (فاطر: 5)

واعلموا عباد الله أن الإعراض عن الآخرة والإنهماك في طلب الدنيا والتنافس على حطامها الفاني خسارة كبرى وشقاوة عظمى، وقد حذر الله من هذا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الْمُنَافِقُونَ: 9)

ويقول ﷺ: «فَوَاللَّهِ لا الفَقْرَ أَخْشَى عليْكُم، ولَكِنْ أَخْشَى عليْكُم أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ على مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ» (البخاري عن عمرو بن عوف المزني)

ولقد قضى الله تعالى أن مَنْ جعل هَمّه الآخرة والعمل لها أن يكفيه هَمّ دنياه، عن أنس بن مالك قال: قال ﷺ: «من كانتِ الآخرةُ هَمَّهُ جعلَ اللَّهُ غناهُ في قلبِهِ وجمعَ لَه شملَهُ وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ راغمةٌ، ومن كانتِ الدُّنيا همَّهُ جعلَ اللَّهُ فقرَهُ بينَ عينيهِ وفرَّقَ عليهِ شملَهُ، ولم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلَّا ما قُدِّرَ لَهُ» (أخرجه الترمذي)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباحَ؛ وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك (البخاري)

ومن دعاء رسول الله ﷺ: «وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا» (رواه الترمذي)

فهنيئا لمن اشترى الآخرة بالدنيا، ويا حسرة من اشترى الدنيا بالآخرة.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: 14-17)